



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



قراءة تاريخية في "كتاب السياسة" للشيخ أبو علي بن سينا

A historical reading of "The Book of Politics" by Sheikh Abu Ali Ibn Sina

أ.د أم الخير عثمانى^{*1}

¹ جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-الجزائر .

Key words:

Politics.
Medicine.
Orjoza.
Literatur
King.

Abstract

"The Book of Politics" by the leading Sheikh, Doctor Abu Ali Ibn Sina, is considered one of the great books that calls for careful reading of its contents, in order to reveal its values that the author included in it, explaining the art of politics, wisdom, and various philosophies, as well as the science of medicine, and therefore I wanted to reveal its historical value in order to benefit from its various contents. In citing it in other studies, I chose the following problem: What is the historical value of the contents of the book Politics by Sheikh Abu Ali Ibn Sina?.

In his study, I followed the following steps: translating the author, the book's methodology, then the art of politics through the book, which established social education, to find several results, the most important of which are: The content of the book is the biography of Sheikh Ibn Sina, and his methods of education to enhance his culture and creativity in various fields such as medicine, politics, and others, using... The theory of natures as a necessity for a family policy with all its components and categories.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2024-05-13

القبول: 2024-10-23

الكلمات المفتاحية:

السياسة.

الطب.

الأرجوزة.

الأدب.

الملوك.

يعدّ "كتاب السياسة" للشيخ الرئيس الطبيب أبو علي ابن سينا، من الكتب الجليلة التي تستدعي القراءة المتأنية لمضامينه، للكشف عن قيمه التي ضمّنها المؤلف له، في فنّ السياسة والحكمة ومختلف الفلسفات وكذا علم الطب، ولذلك أردتُ الكشف عن قيمته التاريخية للاستفادة من مضامينه المختلفة في الاستشهاد بها في دراسات أخرى، واخترت الإشكالية التالية، فيم تتجلى القيمة التاريخية لمضامين "كتاب السياسة" للشيخ أبو علي ابن سينا؟.

وتبعتُ في دراسته الخطوات التالية، ترجمة المؤلف، فمنهج الكتاب، ثم فنّ السياسة من خلال الكتاب فأسس التربية الاجتماعية، لأقف على عدة نتائج أهمّها: مضمون الكتاب هو، سيرة الشيخ ابن سينا، وأساليب تربيته لتعزيز ثقافته وإبداعاته في مجالات مختلفة كالطبّ والسياسة وغيرهما، باستعمال نظرية الطبائع كضرورة لسياسة للأسرة بكلّ تركيباتها وفئاتها.

1. مقدمة

والحقيقة أن هذا المنهج يُعطي لمحتوى الكتاب مقروئية أكثر، على اعتبار أن التدبير والسياسة قد يفهمهما كل دارس على حسب مكانته في المجتمع، حاكماً كان أو من الحاشية وللرعية أيضاً، على مختلف طبقاتها، لأن المؤلف ركز على اختلاف الطبائع بين البشر، مستوفياً كيفية التعامل مع طبقات المجتمع حسب الطبائع.

وفي بداية الكتاب، حمد الطبيب الحسين أبو علي ابن سينا الله على ما حبي به الإنسان من الحواس العقل والنطق، وعلى ما عم به كل الكائنات حظّه من لطف تقديره، ليخصّ بني آدم بخصائص من نعمة فضلهم بها على باقي خلقه، فجعلهم أحسن خلقه بطبائعهم أكمل الطبائع (ابن سينا، 2007، الصفحة 55).

2. خصائص البشر في الحياة

يرى الطبيب أبو علي الحسين ابن سينا أن في التفاضل بين البشر، من حيث الأملاك والمنازل والتفاوت في الرتب ما يوجب التحاسد والتباغض، مع إشارته إلى أهمية التفاضل بين البشر، فلو كانوا جميعاً ملوكاً لتفانوا عن آخرهم ولو كانوا كلهم سوقاً لهلكوا، وهذا ما يبين تأييد ابن سينا للطبقية بين البشر (ابن سينا، 2007، الصفحة 57)، فالاختلاف في الغنى والفقر والبؤس والعز إلى أن قال: "وكل ذلك من دلائل الحكمة، وشواهد لطف التدبير، وأمارات الرحمة والرافة" (ابن سينا، 2007، الصفحة 58)، ولذلك ظهرت أهمية الطب في علاج البشر، فقد عرّف الطب بأنه علاج الجسم والنفس (الفيروز آبادي، 2005، الصفحة 108)، ويُعدّ الطب من أهم وأنبّل العلوم لارتباطه بحياة البشر، هذا الذي جعل الإمام الشافعي (ت 204هـ/820م) يقول مبرراً مكانة الطب: "لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب" (الذهبي، 2006، ص 57، ج 10).

ولاستمرار الحياة والتواصل بين كل الفئات يرى ضرورة السياسة، فالسياسة للملوك بتدبير من الله، لأن "الله جعل بأيديهم أزمّة العباد، وملّكهم تدبير البلاد، واسترعاهم أمر البرية، وفوّض إليهم سياسة الرعية" (ابن سينا، 2007، الصفحة 59)، ثمّ الولاة الذين أعطوا قيادة الأمم واستكفوا تدبير الأمصار، ثمّ أرباب المنازل، ورؤّاض الأهل والولدان، فإن لكل واحدٍ من هؤلاء راعٍ لما يخوّزه كنفه ويضمّه رَحله، ويصرفه أمره ونهيه، ومن تحت يده رعيته (ابن سينا، 2007، الصفحة 59)، فالسياسة هي التي تنظم العلاقات بين كل هذه الفئات المذكورة، وتحفظ لهم حقوقهم من الإهمال، وكرامتهم من التبدد، وفي ذلك فابن سينا يمثل أحوال السوق بأحوال الملوك، ويساوي بين الأمرين، ويعزي ذلك إلى "تقارب الناس في الأخلاق والخلق وفي حاجات الأنفس، وفي دواعي الأجساد والمنازل دون المراتب والأخطار والأقدار" (ابن سينا، 2007، الصفحة 61)، وهذا كله تدبير.

يتحدّث الطبيب ابن سينا عن الأسرة وتقارب الناس عن طريق الزواج الذي كان سبباً في حدوث الذرية وعلّة البقاء والنسل

تعدّدت كُتب السياسة بين الفلاسفة والحكماء لتوضيح أفكارهم ومبادئهم حول قضايا مختلفة، فمنها "كتاب السياسة" لأرسطو مثلاً، و"كتاب السياسة"، للشيخ أبو علي ابن سينا الذي سادرسه في مقالتي هذا، بقراءة تاريخية لكشف مغاور مضامينه المختلفة، فسيم تتجلى أهمية "كتاب السياسة" التاريخية.

ودراستي هذه تهدف إلى تحديد مفهوم السياسة الذي اقتضاه الشيخ الرئيس الطبيب ابن سينا في كتابه وأهم ركائزها على الملوك وحاشيتهم، ثمّ على باقي الرعية، من تنظيم الأسر، وتدبير أربابها، وكذا ما يقتضيه من تدابير الحفاظ على الأسرة من زوجة وولد وخدم.

2. ترجمة المؤلف ومنهج كتاب السياسة:

1. ترجمة المؤلف

الفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن سينا، البلخي، ثمّ البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق، طبيب وفلكي ولغوي وفيلسوف وعالم رياضيات وشاعر وأديب ورجل سياسة ومتصوف، ولد في شهر صفر سنة (370هـ/981م) وتوفي بهمدان، في شهر رمضان سنة (428هـ/1037م) (الذهبي، 1996، الصفحة 531، 534، ج 17)، عاصر الحكم البويهي للمشرق الإسلامي في العصر العباسي الثالث (334هـ/447-946هـ/1056م).

2. منهج "كتاب السياسة"

كتاب صغير الحجم، من نشر وطباعة دار بدايات للطباعة والنشر السورية، الطبعة الأولى سنة 2007م، قدّمه وضبطه وعلّق على محتواه "علي محمد إسبر"، عدد صفحاته 95 صفحة، بما في التعليقات، بينما مضمون كتاب السياسة الذي قصدنا دراسته في هذا المقال عدد صفحاته 42 صفحة، ضمن مضمون الكتاب العام، يتضمّن كلاماً عن السياسة، ليس بالمفهوم السياسي المنتشر؛ بل بما تحدّد الطبيب أبو علي الحسين ابن سينا من مفاهيم لها، فهي تعني، التدابير أكثر من مصطلح السياسة الشائع الذي يتعلّق بالحكم ونظام الإدارة، مع توضيحه لأهمية الطبّاع في تدبير الناس، بغض النظر عن طبقاتهم وأصنافهم وفئاتهم، فمنهج نفسه منهج كُتب الحكم ككتاب "الحكم الخالدة" للمؤرّخ "مسكويه" (ت 421هـ/1030م).

ولم يُشر إلى مصادر معلوماته وحكمه، واكتفى بما قال في نهاية "كتاب السياسة" "وإنما ذكرنا القليل من الكثير، والجمل دون التفسير، ولو شرحنا كل باب بما يشاكله من أخبار الناس وأشعارهم لكان الكتاب أحسن وأحكم، إلّا أنّه يكون أكبر وأطول، فأثرنا التخفيف على القارئ والتسهيل على الناظر، ولربّ قليل أزيّع من كثير وصغير، أتم من كبير والله ولي التوفيق" (ابن سينا، 2007، الصفحة 94).

جاء الولد وكثر العدد وزادت الحاجة إلى الأقوات وإعداد فضلاتها لأوقات الحاجة فصار رب الأسرة راعياً، وصار من تحت يده له رعية (ابن سينا، 2007، الصفحة 62)، وهذا أمرٌ يتشابه فيه أرباب الأسر مع الملوك في سياستهم؛ لما في ذلك أيضاً من الهدف لحماية مصالحها ويزجرها عند اللزوم، فإن كفاه ذلك في حسن انقيادها واستقامة ضلعها ولا أقدم عليها بعصاه (ابن سينا، 2007، الصفحة 64).

2. ضرورة السياسة للأسرة

يتطلب تدبير وسياسة الأسرة الترغيب والترهيب في أوقاتها للتقويم (ابن سينا، 2007، الصفحة 64)، ويتمثل ذلك في الآتي:

1.2 سياسة رب الأسرة (الراعي) مع نفسه، يتم بإصلاح نفسه الأمارة بالسوء، بإصلاح فاسدها، وهذا يتطلب معرفته لكل مساوئ نفسه (ابن سينا، 2007، الصفحة 65)، والإشارة إلى الآثار الوخيمة لإخفاء العيوب دون إصلاحها، خاصة وأن الإنسان في حاجة إلى مخالطة الناس على اختلاف طبائعهم وسلوكياتهم من سوقة وغيرهم، وفي هذا تظهر ملامح شخصية الطبيب أبو علي الحسين ابن سينا المتصوفة، فالمرء يبدأ بإصلاح نفسه قبل إصلاح غيره، فقد جاء في حكم الفرس، طريق النجاة ثلاث سبيل الهدى، وكمال التقى، وطيب الغذاء (مسكويه، 2017، الصفحة 66)، وذكر الطبيب ابن سينا تقسيمات الطب، من حيث أنه يحتوي على جانبين: جانب نظري وجانب عملي، فالجانب النظري له تقسيمات ثلاث، أما العملي، فله قسمين: ما يعمل باليدين، وما يعمل بالدواء، وتقدير من الغذاء (ابن سينا، الصفحة 734، ج1).

ويشير الطبيب ابن سينا إلى نفس ما يصيب حال الملوك الذين تأثروا بسلوكيات مجالسيهم "ومما زاد في فساد حال الملوك والرؤساء ما أتيج لهم من قرناء السوء، وقبض لهم من جلساء الشر" (ابن سينا، 2007، الصفحة 68)، وهو ما يتوافق مع الحكمة "ثلاث لا يستصلح فسادهن بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء والركاكة في الملوك (مسكويه، 2017، الصفحة 68)، وفي هذا تبيين لدور النصيحة من المقربين والترغيب في صُحبة ومجالسة الصالحاء (ابن سينا، 2007، الصفحة 69)، وهذا يتشابه فيه أرباب الأسر مع الملوك، ولذلك رغب في ضرورة المشورة لدرجة قوله "إن رأيت صاحبك لا يكثر لكلامك إذا ورد عليه فاقطعه وأجل معناه إلى غير ما أردته وأخره إلى وقت نشاطه وفراغ باله" (ابن سينا، 2007، الصفحة 70، 71)، فأكثر ما ينتفع به السلطان صحبت العلماء والاستكثار من العلم، فإن من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه وهذا هو الحرص المدوح (مسكويه، 2017، الصفحة 110). ويقول المؤرخ ابن منظور (ت711هـ/1312م): "الطبيب في الأصل: الحاذق بالأمور، العارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى" (ابن منظور، الصفحة 554، ج1).

وإصلاح الفرد لنفسه هو، نظراً النفس للنفس الذي هو العناية بالنفس، ورذع النفس للنفس هو العلاج للنفس (مسكويه،

وتتمثل سياسة وتدبير الأسرة في ضرورة سعي الناس لاقتناء القوت بالحلال، مع إشارته أن الاختلاف بين الناس بين مكثف ومحتاج هو الذي دفع إلى تنويع الصناعات والتجارات للكسب وإيجاد الرزق (ابن سينا، 2007، الصفحة 73)، كما قسم صناعات ذوي المروءة إلى "ثلاثة أنواع، نوع من حيز العقل، وهو صحة الرأي وصواب المشورة، وحسن التدبير، وهو صناعة الوزراء والمديرين وأرباب السياسة والملوك، ونوع من حيز الأدب، وهو الكتابة والبلاغة وعلم النجوم وعلم الطب وهو صناعة الأدباء، ونوع من حيز الأيد والشجاعة وهو صناعة الفرسان والأساورة فمن رام إحدى هذه الصناعات فليفرز بإحكامها (ابن سينا، 2007، الصفحة 73).

ضرورة الابتعاد عن الكسب الحرام، فإذا حاز الإنسان ما اكتسبه من السيرة العادلة، في ذلك أن يكون بعضه مصروفاً في الصدقات والزكوات وغيرها، وبعضه مدخوراً لنوائب الدهر وأحداث الزمان (ابن سينا، 2007، الصفحة 74، 75)، وهو ما يتوافق مع حفظ النفس في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، مع ضرورة كتمان الصدقة والابتعاد عن الشح، فالسلطان لا يستطيع إلا بالأمناء والنصحاء والأمناء والنصحاء لا يوجدون إلا مع المودة، والمودة لا تتم إلا بمشاركة لا استئثار معها ولما كانت أعمال السلطان كثيرة... والسبيل الذي به يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور الدنيا وبأمور من يريد الاستعانة به (مسكويه، 2017، الصفحة 138)، ومن الآيات التي تدعو إلى الاعتدال في الأكل والشرب؛ قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

ومن الآيات الداعية إلى تحقيق مبدأ الحفاظ على الجسم من الأسقام والأمراض فهي كثيرة جداً، فمن ذلك أن أقر القرآن على أهمية العسل في الشفاء لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69].

2. سياسة الرجل أهله

يعتبر الطبيب أبو علي الحسين ابن سينا الرجل ملكاً في أسرته، يعترف بمكانة الزوجة الصالحة في بناء الأسرة، فهي شريكة

بتصانيف المنثور... فإن شعراء الأطباء كثيراً ما نظموا الأراجيز وألفوا الكنايش... فأنتج ذلك اطلاع الملوك على القوانين الطبية والمناهج الحكمية" (ابن سينا، 1956، الصفحة 9)، وهو ما يُنبئ بأن الطبيب ابن سينا كان شاعراً، ثم بعد الرُجَز تأتي القصيدة، فإن رواية الرجز أسهل، وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر وأخف ووزنه أخف (ابن سينا، 2007، الصفحة 84).

وبعدها الصبي يتعلم الشعر، بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف وما حث على برّ الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق (ابن سينا، 2007، الصفحة 84)، وهذا يبين أن نظم الشعر كان فيه الانثناء، بحيث يتعلم الصبي ما يزيده تربيةً، ويكسبه أخلاقاً فاضلة، فقد اشتغل الشيخ بالعلوم وحصل الفنون، ولما بلغ العشر كان قد آتقن علم القرآن والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين ومن الهندسة والجبر والمقابلة (ابن خلكان، 1994، الصفحة 157، ج 2).

والاهتمام بالقرآن لما فيه من الآيات الداعية إلى تحقيق مبدأ الحفاظ على الجسم من الأسقام والأمراض فهي كثيرة جداً، فمن ذلك أن أقر القرآن على أهمية العسل في الشفاء لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 69]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، ولا شك أنه وبغض النظر لما تدعو إليه آيات القرآن من أوامر ونواهي، فالقرآن بحد ذاته فيه الشفاء، لقوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57] ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80]. قال العلامة الفخر الرازي: "مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" (الفخر الرازي، 1420هـ، الصفحة 389، ج 21).

ويضيف لنا صاحب المؤرخ الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت نحو 590 هـ/1195 م)، عند كلامه عن الحسبة على الأطباء "بأن الطبيب هو العارف بتركيب البدن، ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة لها، وأسبابها وأعراضها وعلاماتها والأدوية النافعة فيها، ليساوي بين الأمراض والأدوية في كمياتها، ويخالف بينها وبين كميّاتها، فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى" (الشيزري، 1946 م، ص 97)، ما يؤكد ضرورة ثقافة الطبيب وسعة اطلاعه في عدة علوم.

وكان الاهتمام بالشعر متداولاً في البيت العباسي، فقد قال المؤدب أبو الحسن الأحمر: "كنتُ ربّما أنسيتُ البيت الذي يُشْتَهَدُ به في النحو فيُشَدُّنيهِ الأمين، وما رأيتُ في أولاد الملوك أذكى منه ومن المأمون" (السيوطي، 2005، الصفحة 234)، وكان الاهتمام بالشعر ونظمه وكذا الاهتمام بالأدب عند كل الأطباء، فقد عُرف الطبيب ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ/1270 م) أنه كان مولعاً بالأدب والشعر، وعالماً بالطب والأدب والتاريخ،

الرجل في ملكه وقيّمته في ماله وخليفته في رخله، مبرزاً مميزات صلاح الزوجة في حفظ غيبة زوجها (العاقلة والديّنة والحيّية والفطنة والولود والقصيرة اللسان المطاوعة للزوج، تحسن تدبيرها لزوجها إلى أن قال: "وجمّاع سياسة الرجل أهله الحسّم في ثلاثة أمور لا تدعه وهي، الهيبة الشديدة والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم" (ابن سينا، 2007، الصفحة 79)، وهذا يتماشى مع جاء في كتاب الله من تحريم لأمر أخرى تؤدّي للأمراض، فدعا الإسلام للابتعاد عنها، وقايةً واعتناءً بالصحة البدنية والنفسية، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلٌ﴾ [الإسراء: 32].

3- سياسة الرجل ولده

استعرض الطبيب أبو علي الحسين ابن سينا ما للولد من حق على والده، بدءاً من إحسان تسميته واختيار مرضعته البعيدة عن الحمق والخالية من العاهات "فإن اللبن يغدي (ابن سينا، 2007، الصفحة 83)، وهو ما يتوافق ما ذكره الطبيب ابن الجزار القيرواني (ت 369/979 م) نقلاً عن الحكيم "جالينوس" (129-200 م)، في "كتاب السياسة"، عند حديثه عن صفة المرضعة التي تحتاج لرضاع الصبيان؛ إذ ينبغي أن تختار وأن تكون شابة غير مسنة، وأنها إن كانت مسنة جداً لم يكن لبنها غزيراً ولا جيداً صحيحاً، وإن كانت وسطاً كانت نافعة للصبي منفعة عظيمة، وأن تكون حسنة القامة، جيدة الذراعين والساقين، حسنة الوجه، حسنة الخلق، لا تغضب سريعاً والأفضل أن تكون قريبة لأم الصبي، وتكون سليمة غير سقيمة لكي لا ينتقل سقمها إلى الصبي، وتكون من أهل بيت عقل وأدب وعفة وصحة وسخاء ونجدة (ابن الجزار، 2008، الصفحة 69، 70).

وفي مرحلة ما بعد الفطام، تأتي مرحلة التأديب ورياضة أخلاق الصبي قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة وتفاجئه الشيم الذميمة، والتأديب يكون بالتوجيه والتوبيخ وقد يصل إلى استعمال اليد بشرط أن يكون الضرب قليلاً موجعاً، كما أشار به الحكماء قبل (ابن سينا، 2007، الصفحة 83)، وإذا كانت الضربة الأولى موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه، وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به (ابن سينا، 2007، الصفحة 83، 84)، وهذه المرحلة مر بها الطبيب ابن سينا.

ويعرف الطبيب ابن سينا، في كتابه "القانون"، الطب بأنه علم يُتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة الحاصلة ويستردّها زائلة (ابن سينا، الصفحة 13، ج 1)، ولذلك نجده يهتم بصحة الصبي، فبعد اشتداد مفاصل الصبي واستواء لسانه ووعي سمعه أخذ في تعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقّن معالم الدين، مع ضرورة أن يروي الصبي الرجز، والظاهر أن الطبيب ابن سينا يروي مسار تعلمه والدليل على تمكنه في الرجز هو تأليفه لأرجوزة الطب وهي نوع من الكتابة التي جرت عند الحكماء وفضلاء القدماء بخدمة الملوك والأمراء والخلفاء والوزراء ورؤساء القضاة والفقهاء

وبعد كل هذا التحصيل العلمي تأتي مرحلة التوجه نحو الصناعة وبعد تعلم الصبي للقرآن وحفظه لأصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما حينها تتبين له المواد التي سيدرسها بعد ذلك، فإن أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقشات الناس ومحاوراتهم وطروح الحساب ودخل به الديوان وعُني بخطه، ليخلص الطبيب ابن سينا إلى القول بأن ليس كل صناعة يزومها الصبي ممكنة له مؤاتية، لكن ما شاكل طبه وناسبه (ابن سينا، 2007، الصفحة 86)، وربما نافر طباع إنسان جميع الآداب والصنائع فلم يغلق منها بشيء، ولذلك يجب على مدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسير قريحته ويختبر ذكائه فيختار له الصنائع (ابن سينا، 2007، الصفحة 87).

وهذا ما فعله الطبيب ابن سينا في صباه في هذه المرحلة: إذ "رغب في علم الطب، وتأمل الكتب المصنفة فيه، وعالج تأديباً لا تكسباً"، واشتهر بإتقانه لصناعة الطب فاستدعاه الأمير نوح بن نوح الساماني (331هـ/943-955م)، صاحب خراسان في مصر لمعالجته، فعالجه حتى شفي، وقرب منه ودخل إلى دار كتبه (ابن خلكان، 1994، الصفحة 158، ج2)، وبعد توغل الصبي في صناعة ما، فمن التدبير أن يعرض للكسب ويحمل على التعيش منها، فإنه يحصل في ذلك له منفعتان إحداهما إذا ذاق حلاوة الكسب بصناعته وعرف غناها لم يضجع في إحكامها وبلوغ أقصاه (ابن سينا، 2007، الصفحة 88)، ولذلك فقد عرف الطبيب ابن سينا، بأنه كان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه (ابن خلكان، 1994، الصفحة 160، ج2)، والأخرى أن يعتاد طلب المعيشة، فإذا كسب الصبي بصناعته فمن التدبير أن يزوج ويفرد رخله (ابن سينا، 2007، الصفحة 88).

ويدعم هذا ضرورة أن يكون للملك لإدارة شؤون ملكه ما يحيط به من أصناف من الناس "أعلم أن النبوة والملك جوهراً في خاتم واحد... ليس بعد النبوة عبء أثقل من الملك، ولا عمل أقوى من الملك، فلزم أن يكون حوله جماعة يرجع إلى رأيهم ومشورتهم وتديبرهم الحل والعقد في العالم، والصالح والفساد بين عباد الله، وينبغي أن يكون كل واحد منهم أفضل أهل الوقت وأكملهم، ثم الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب من خواص الملوك، ولا غنى للملك عنهم، فقوام الملك بالكاتب، وتخليد الاسم بالشاعر، ونظام الأمور بالمنجم، وصحة البدن بالطبيب وهذه الأعمال الأربعة الشاكلة والعلوم الشريفة من فروع علم الحكمة الكتابية، والشعر من فروع علم المنطق، والتنجيم من فروع العلم الرياضي، والطب من فروع العلم الطبيعي" (النظام العروض السمرقندي، 1949، الصفحة 20).

3- سياسة الرجل في خدمه

الخدم قد يكون في القصور وبيوت الأغنياء، كما أيضاً في بيوت عامة الناس، فيرى الشيخ أبو علي بن سينا أن سبيل سياسة الخدم والقوام من الإنسان سبيل الجوارح من الجسد، ويمثلهم بأعضاء جسد المخدم لأن من كفاك التعاطي بيدك فقد قام

وبما يستنتج من موسوعته هذه، ففي العديد من المواضع يُحيلنا إلى تعلم الأطباء الأدب واللغة وتأليف الكتب ويجعلها من الضروريات (ابن أبي أصيبعة، الصفحة 407-427)، أما عن ميله إلى الشعر تحديداً، فكتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" قد حوى على بعض من قصائده وعلى قصائد وأبيات شعرية كثيرة لتراجمه، ممن عرفوا على أنهم أطباء، لكن تميزهم في الشعر كان واضحاً، من أمثال: إسحاق بن يعقوب، والكندي، والبدیع الأسطرلابي، وابن سينا، وكذلك الفارابي، والطبيب أبو الحكم، وعماد الدين الدنيسري، وغيرهم (ابن أبي أصيبعة، الصفحة 275-761)، وهو ما يظهر أن الطبيب ابن سينا كان ضمن تراجم الأطباء الذين اشتهروا بالشعر.

ويذكر أساتذتهم في الأدب، نحو قوله في ترجمته للطبيب شرف الدين بن الرُّحبي (ت 667هـ/1268م): "واشتغل أيضاً بالأدب على الشيخ علم الدين السخاوي (ت 643هـ/1245م) وعلى غيره من العلماء، وقد اتقن علم الأدب إتقاناً... وله فطرة جيدة في قول الشعر" (ابن أبي أصيبعة، الصفحة 676)؛ بل ويتم الاستعانة عند كتابة كتبهم بمن هم متقنون لأمر اللغة، فقد أحالنا إلى معلومة مفادها، أنه عندما أراد إرسال نسخة من كتابه إلى الصاحب أمين الدولة، أخذ مسودات من الكتاب، واستدعى شمس الدين، محمد الحسيني الناسخ، نظراً لجودة خطه، وكونه فاضلاً في العربية (ابن أبي أصيبعة، الصفحة 725).

أما عن صفات وأخلاق مؤدب الصبي، فيجب أن يكون عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً، رزيناً، بعيداً عن الخفة والسخف، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، غير كز ولا جامد، حلواً، لبيباً، ذامروءة ونظافة ونزاهة، قد خدم سراً الناس، وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعاضون به من أخلاق السفلة، وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاملة والمحادثة والمعايشة (ابن سينا، 2007، الصفحة 84، 85)، ما يفيد بأن المؤدب قد خالط كل فئات المجتمع، وهذا ما نجده من صفات عند مؤدبي أولاد الخلفاء العباسيين، فقد كان يعقوب بن إسحاق السكيت (ت 243هـ/858م)، أبو يوسف النحوي اللغوي، صاحب "كتاب إصلاح المنطق"، من أهل الفضل والدين والنقمة، وكان يؤدب الصبيان في أول أمره، ثم ترقى إلى أن صار يؤدب ولد المتوكل على الله (ابن الجوزي، 1992، الصفحة 311، ج11).

ولكي يكون الصبي اجتماعياً يرى الطبيب ابن سينا ضرورة الصُخبة للصبي في مكتبه من أولاد الجلة، حسنة آدابهم مرضية عاداتهم، فإن الصبي عن الصبي ألقت وهو عنه أخذ وبه أنس (ابن سينا، 2007، الصفحة 85)، وهذا ما جرى عليه الخلفاء العباسيين خاصة في إرسال أولادهم إلى الكتاب، ففي سنة (302هـ/915م) في شهر رمضان أدخل أولاد الخليفة المقتدر على الله الكتاب وكان المؤدب أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت 311هـ/924م)؛ (ابن الجوزي، 1992، الصفحة 151، ج13)، والكتاب فيه عامة الصبيان.

ما يؤكد ذلك فأغلب الوزراء كانوا من الخدم.

4. خاتمة

يمكن كتابتها في عدة نقاط هي:

- كتاب السياسة يتضمن التأكيد على نظرية الطب التي جسدتها سيرة الطبيب "أبو علي الحسين ابن سينا"، ويستدعي تطبيقها لمعرفة مدى الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والتفاهم بين الطبقات ومختلف الفئات، ما يستدعي التجريب لتأكيد نتائجها على عينات.

- الطبيب ابن سينا يُضمّن كتاب السياسة سيرته الذاتية في المعاملات مع الملوك والوزراء وغيرهم، من الحاشية من جهة، ويغري نجاحه في ذلك إلى الطب، فكانت سيرته تلك تأكيداً لما توصل إليه من حقائق وحكم شكلت نظريات يمكن تطبيقها على كل من علاقات الملوك بالحاشية والسوق وغيرهم، من باقي الفئات الاجتماعية.

- السلوكيات التي ذكرها الكتاب لا تخرج عن دائرة ما جاء في كتاب الله، من علاقات اجتماعية وعلاقات بين الناس.

- يمكن الأخذ بما في كتاب السياسة في دراسة التاريخ الاجتماعي وعلاقات لأي مجتمع كان، بالنظر إلى الطباق دوماً، ومن ثمّ التنبؤ بما يصل إليه الفرد الواحد في مجال تعلمه ومستقبله المهني، وبفضلها يُقاس مدى تطور المجتمع الواحد، بالموازاة مع تطبيقه لهذه النظريات المتمثلة في نصائح وحكم.

- كتاب السياسة فيه تنبيه إلى ضرورة إعداد الأطباء بشكل متكامل ديني وثقافي ومهني لمساعدة الحكام في تسيير الحكم.

- ضرورة إضافة محتوى الكتاب إلى مقررات علم النفس التربوي للاستفادة من محتواه.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنّه ليس لديه تضارب في المصالح.

- المصادر والمراجع

- 1- ابن أبي أُصَيْبَةَ (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، موفّق الدين، أبو العباس ت 668هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: فزار رضا، (دط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 2- أبو جعفر أحمد، ابن الجزّار (2008). سياسة الصبيان وتدريبهم. تونس: مطبعة سوجيم.
- 3- ابن خلّكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر 608هـ/681هـ). (1994). وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان. لبنان: دار صادر.
- 4- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت 808هـ). (1979). تاريخ ابن خلدون المسمّى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. لبنان: مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- 5- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت 748هـ). (1427هـ/2006م). سير أعلام النبلاء، تح: محمد أيمن الشبراوي. القاهرة: دار الحديث.
- 6- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر). (2005). تاريخ الخلفاء.

عندك مقامها ومن كفاك السغي برجلك فقد ناب عنك منابها ومن حفظ لك ما تحفظه عينك فقد كفاك كفايتها" (ابن سينا، 2007، الصفحة 89).

وينبغي للفرد أن يحمّد الله - عزّ وجلّ - على ما سخر الله له منهم وما كفاه وأن يحوّلهم ولا يقصّبهم ويتفقدهم ولا يهملهم ويرفق بهم ولا يخرجهم فإنهم بشرٌ يمسّهم من الكلال ومن السّامة والفتور ما يمسّ البشر... مع التنبيه إلى طرق اختيار الخدم، المعرفة والاختيار وامتحانه "فإن لم تستطع ذلك، فينبغي أن تعمل فيه التقدير والفراسة والحُدس والتوسّم وأن تُضرب عن الصّور المتفاوتة والخلق المضطربة" (ابن سينا، 2007، الصفحة 90)، وكلّ هذا يدخل في مفهوم الطبّ ويقال: "رجلٌ طبّ وطبيبٌ"، أي: "عالمٌ بالطبّ"، أمّا المتطبّب فهو الذي يتعاطى علم الطب، وقالوا: "تطبّب له"، أي: "سأل له الأطباء". وجمع القليل: "أطبّ"، والكثير: "أطبّاء"، والطبّ: "الرّفق"، والطبيب: "الرّفيق"... (ابن منظور، الصفحة 553، ج 1)، كما يقال: الطبّ: "السّحر"، والمطبّب: "المسحور"، والطبّ: "من تطبّب الطبيب"، والطبّ: "العالم بالأمور" (الفراهيدي، الصفحة 407، ج 7).

ونجد مثل هذه المعاملة للخدم ما يماثلها عند خلفاء البيت العباسي، فقد أوصى الخليفة المنصور ابنه المهدي بأهل بيته وخدمه... وأن تظهر كرامتهم وتحسن إليهم وتقدّمهم وتوطئ الناس أعقابهم وتؤلّيهم المنابر، فإنّ عزّك عزّهم وذكرهم لك" (ابن خلدون، 1979، الصفحة 204، م 3)، وهو تعبير عن حاجة الناس لبعضهم البعض، وهذا الفعل مستمد من وصيّة الرّسول -صلى الله عليه وسلم- "خيركم خيركم لِنِسائِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَمَا مَلَكَت يَمِينُهُ" (السمرقندي، ص 92)، فقد قال الخليفة المنصور العباسي لابنه المهدي: "يا أبا عبد الله الخليفة، لا يصلحه إلّا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلّا الطاعة، والرعيّة لا يصلحها إلّا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة" (السيوطي، 2005، الصفحة 209).

نبّه الطبيب ابن سينا إلى ضرورة التفطن بعدم الأخذ بالظاهر دون التقدير، مع إثارة البسير من العقل والحياء على كثير من الشّهامة والخفّة في اختيار الخدم، ثمّ النظر إلى أيّ أمر يصلح الخادم الذي يتّخذه، وأيّ صناعة ينتحل، وما الذي يظهر رجحانه فيه من الأعمال فليُسند إليه، وليُسكّفه إيّاه ولا ينقل الخادم من عمل إلى عمل ومن صناعة إلى صناعة فذلك من أسباب الدمار ودواعي الفساد (ابن سينا، 2007، الصفحة 90، 91)، لأنّ لكلّ إنسان باباً من المعارف وفناً من الصناعات قد سمحت له به طباعه وأفادته إيّاه غريزته فصار لديه كالسجيّة التي لا حيلة له في تركها (ابن سينا، 2007، الصفحة 91).

ونبّه الطبيب ابن سينا إلى مخاطر الخادم "وبعد فإنّ الخادم لا يتوالى ولا يُناصح ولا يشفق ولا ينظر ولا يحتاط ولا يحامي ولا يذبّ حتّى يتحقّق عنده ويصحّ لديه أنّه شريك صاحبه في نعمته وقسيمه في مُلكه وجِدّته، حتّى لا يأمن العزل ولا يخدر الصّرف" (ابن سينا، 2007، الصفحة 92)، ولعلّ في التاريخ العباسي

مصر: مكتبة الصفا.

7- السمرقندي (أبو الليث ت373هـ)، قرّة العيون ومُفرح القلب المحزون أو عقوبة أهل الكبائر. مصر: دار الخلفاء.

8- ابن سينا (أبو علي). (2007). كتاب السياسة. سوريا: بدايات للطباعة والنشر.

9- القانون في الطب، (دط)، تح: محمد أمين الضناوي، (دت)، ج1.

10- (1956). الأرجوزة في الطب. باريس.

11- الشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت نحو 590 هـ). (1365 هـ/1946 م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام على نشره: السيد الباز العريني، بإشراف: محمد مصطفى زيادة، (دط). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

12- العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج2.

13- الفرّج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت597هـ. ابن الجوزي. (1992). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لبنان: دار الكتب العلميّة.

14- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ت170 هـ)، كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دط)، دار ومكتبة الهلال، ج7.

15- الفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ت817 هـ). (1426 هـ/2005 م). القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8. لبنان: بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

16- الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ت606 هـ/1210 م). (1420 هـ). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج21.

17- مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد). (2017). الحكمة الخالدة (جاويدان خرد). لبنان: مكتبة الرافدين الإلكترونيّة.

18- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ت711 هـ). (1414 هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط3.

19- النظام العروضي السمرقندي. (1368 هـ/1949 م). جِهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابيّة والشعر والنجوم والطب، وعليه حواشي محمد بن عبد الوهاب القزويني، نقله إلى العربيّة عبد الوهاب عزّام ويحي الخشّاب، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

أم الخير عثمانى (2025)، قراءة تاريخيّة في "كتاب السياسة" للشيخ أبو علي بن سينا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 17، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص.ص: 116-122.